
نزار قباني
قالت لي السمراء

الطبعة الثالثة والثلاثون

نيسان (ابريل) ١٩٨٩

قلبي ، كمنفضة الرماد ، أنا

إن تنبشي ما فيه ، تحترقي

شِعْري أنا قلبي . . . ويظلمني

من لا يرى قلبي على الورق . . .

نزار

مقدمة

الطبعة الأولى الصادرة في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤

بقلم الدكتور منير العجلاني

.. لا تقرأ هذا الديوان ، فما كتب ليُقرأ .. ولكنه كتب ليغنى .. ويشم .. ويضم .. وتجد فيه النفس دنيا ملهمة .

ديوان صغير صغير .. مثل حبيبنا " حسن " الذي لخص له موسه فتونه بهذه الكلمات : " خلقه الله صغيراً ليأتي أملح وأجمل وأنفذ سحراً . "

يا نزار !

لم تولد في مدرسة المتنبي ، فما أجدك تعنى بشيء من الرثاء والمديح والحكمة ، وما اجدك تعنى بالبيت الواحد من القصيدة يُضرب مثلاً ، وما أجدك بعد هذا تعنى بالأساليب التي ألفها شعراؤنا وأودباؤنا وإنما أنت " شيء جديد " في عالمنا " ومخلوق غريب ".

وكأني أجد في طبيعتك الشاعرة روائح بودلير وفيرلين والبير سامان وغيرهم من أصحاب الشعر الرمزي والشعر النقي .

وقد تُوهم بعض أبيات لك ذكرت فيها المخمل ، والطراوات ، ووشوشة النايات ، وارتعاش الربابات ، أنت تأثرت بشعر الشعراء اللبنانيين المحدثين . فما أريد أن أبرئك من التأثر بأدبهم ، ولا ضير عليك منه ، فالإنسان يتأثر برفاقه في المدرسة ، يأخذ ويعطي ، ولكنه إذا كان هو موهوباً طبع كل شيء بطابعه ، وربما ارتفع فوق رفاقه وفوق أساتذته درجات .. ومن يدري لعل القدر يخبيء لنا فيك شاعراً عالمياً تسبح أشعاره من بلد إلى بلد وتمر من أمة إلى أمة :

كمرور العطور مبتلة الريش
على كل منحنى ومضيق ..
كقطيع من المواويل حطــت
في ذرى موطني الأنيق .. الأنيق ..
حزمة من توجع الرصد .. رفٌّ
من سنونو .. يهمُّ بالتحليق ..

أمل ! .. ولكنه أمل ركزته في نفسي قصيدتك " اندفاع " . فما أظن أن شاعراً أوربياً كبيراً يكره أن تنسب هذه القصيدة إليه .

لم تعجبني " اندفاع " لكلمات حلوة أخرجها الشاعر من أعماق القواميس كما تستخرج اللآليء من أعماق البحار ، أو لمعان أبكارٍ لم يُسبق إليها . أعجبتني لأنها قطعو من الموسيقى نقلتني إلى عالم ملهمٍ ، وبعثت في نفسي خيالاً وحساً يتجدد ولا يغيب .

لا تعنيني تفاصيل هذه القصيدة – وهي حسنة في جملتها وفي تفصيلها – ولكن الذي يعنيني منها هو أنها استطاعت أن تنقلني من بلادة الاستعارات والتشابيه وألاعيب البلاغة .. إلى حلم رفيع أعوم في " سائله المُخملي " أتذوق فيه ذوقَ الشاعر ، وأتخيل أخيلته ، وكأنه ألقى قلبه في أعنف ساعات الوحي .

* * *

وبعدُ .. سألني صاحبُ هذا الديوان أن أكتب له تقدمة ، ولو ملكت الخيار لقلت له : ديوانك كله تقدمة .. إلى كل نفس تُحس وتَشعُر ..

أما " ورقة إلى القارئ " فتكاد تكون (برنامجاً شعرياً) أو (بياناً عاطفياً) لخص فيه الشاعر نزعاته وأساليبه بما يغني عن كل توطئة ، فهو رمزي ، غريزي ، عفوي . وهذه الكلمات كلها تحتاج إلى شيء من التذييل.

١- شاعرنا رمزي لأنه هو نفسه يقول :

تخيلتُ حتى جعلتُ العطورَ
تُرى .. ويشمُ اهتزاز الصدى

ولكنه لم يأخذ من الرمزية إلا بمقدار . تبرأ من غموضها ، وجدارها أو شابهها غير متعمّد في عنايته بموسيقى الألفاظ منفردة ومجتمعة .

أذكر أنني كتبت في معرض الكلام عن الشعر أن الرمزيين يُعنون كثيراً بموسيقى اللفظ ، فإذا أرادوا مثلاً أن يصفوا في بيتين وثبة أسدٍ على حيوان ضعيف ليفترسه ، جاء البيت الأول ضخم نخارج الألفاظ ، والثاني رقيقاً ناعماً كندى الصباح ، فكأن البيت الأول جلمود صخر انحط من علٍ ليهشم البيت الثاني ويفترسه .

ولعل من خير الأبيات في الدلالة على قوق الناحية الموسيقية عند الشاعر هذا البيت :

فلولاي ... ما انفتحت وردة

ولا فقـع الثـديُ أو عربـدا

فكلمتا " فقع " و " عربد " تشبهان بجرسهما أمواجالتيار الصخّابة وتريانك – ولو كنت تجهل اللسان العربي – تكوُّرَ الثدي وحركته ...
٢- شاعرنا غريزي أو هو على الأقل يدعي ذلك . ألم يقل لنا :

بأعراقيَ الحمرِ ... إمرأةٌ ...
تسير معي في مطاوي الردا
تفـحُّ .. وتنفتحُ .. في أعظمي
فتجعل من رئتي موقدا ..
هو الجنس احمل في جوهري
هيولاهُ ، من شاطيء المبتدا
بتركيب جسميَ " جوعٌ " يحنُّ
لآخرَ .. جـــوعٌ يمدُّ اليدا ..

وإنك لتجده يصف الشهوة في غير قصيدة واحدة وصفاً لا يخلو من القوة:

عبثاً جهودكِ بي الغريزة مطفأهْ
إني شبعتكِ جيفةً متقيهْ ..
مهما كتمتِ .. ففي عيونك رغبةٌ
تدعو ، وفي شفتيك تحترق امرأهْ ..
انا لا تحركني العجائز .. فارجعي
لكِ أربعونَ ..وأي ذكرى سيئه ..

ولكنه لم يستطعْ أن ينزل مع الشهوانيين إلى قرارة الجحيم الذي يسكنونه. فحسبنا وحسبه المدى الذي بلغه . ولعل الأتقياء يجدون سبيلاً إلى الطعن ، وإن يكن أحاط نفسه في كل قصيدة بطلاسم يستنكر فيها الإثم ، ولكنه في الواقع إنما يستنكر الجريمة ، كزواج فتاة من شيخ مثلاً ، لأنه إنما ينظر إليها بعيون الفن لا بعيون الفضيلة . ةهذا دليل آخر على شاعريته .
على أن شاعرنا إن لم يكن منحَلاً في الشهوة ، فقد وُفق في وصف الجمال ، والحب البكرْ توفيقاً بعيداً ، حتى لتكاد تشعر وأنت تنشد بعض قصائده أنك في عرس من أعراس الآلهة ، وأنها تخاطب بلسانه .

أما جمال حسنائه فقد صنع له صورة لا تختلف عن صورة الرسام إلا بأنها تتكلم .. وإلا بأنها شاعرة وعاشقة :

قميصكِ الأخضرُ .. من يا ترى
باعكِ هذا اللون ، قولي .. اصدقي
أمنْ ضفاف " السين " خياطتهُ
واللونُ .. من " دانوبه الأزرقِ "
أم من صغير العشب لملمتهِ ..
في سلةٍ بيضاء من زنبقِ ..

أو هذه الأغنية في شقرائه :

شقراءُ .. يا فرحة عشريننا
ونكهة الزقّ .. وهزجَ الفراشْ
نمشي .. فيندى العشب من تحتنا
وفوقنا للياسمين اعتراشْ ..
ونشربُ الليلَ صدى " مَيْجنا "
وصوت فلاح .. وعَوْدَ مَواشْ

يا لهذه الصورة .. ما أحلاها .. وما أنداها .. وما أحياها .. ألا ترى من خلالها فتنة العيون الخضر .. وتشرب مناجاة العاشقين كما يشربان هما صوت " الميجنا " ..

٣- نزار عفويّ . يريد بذلك أنه لا يتكلف صناعة الشعر تكلفاً ، ولا يكتب ليلقن أستاذٌ في مدرسة صغارَ التلاميذ أشعاره :

عزفتُ .. ولم اطلب النجمَ بيتاً
ولا كان حلميَ أن اخلدا ..
إذا قيل عني " أحس " كفاني
ولا أطلبُ " الشاعر الجيدا " ..
شعرتُ " بشيء " فكونت " شيئاً "
بعفوية دون أن أقصدا ...

ولعل نزاراً بعد هذا ، لا يعتذر عن عفويته ، فالشاعر كما يقول " فرنسيس جامس " طفل ، وإذا لم يكن طفلاً ، ساذجاً ، بريئاً يتكلم من قلبه بطل أن يكون شاعراً عظيماً .

أما أسلوب نزار ، من ناحية اللغة ، فقد نستطيع أن نسميه " السهل الممتنع " . وربما استعمل تراكيب عامية ، ولكن هذا قليل جداً . والألفاظ العامية التي اختارها فيها قوة وإغراء . ولولا هذه القوة في كلمات الشعب ما استعارها شاعر كشكسبير مثلاً .

وبعدُ .. وبعدُ .. ماذا أذكر من قصائد هذا الديوان وماذا أدع ؟.. لو سئلت عن محاسنها لأجبتُ كما أجاب بودلير شيطانه :

" إنها تشبه نعنعة الماء ، لا يفضل بعضها على بعض ، تنفث السحر كالفجر ، وتغدقُ السلوى كالليل ، نفسها يتصاعد موسيقى ، وصوتها يضوع طيباً .."

* * *

نزار !

لا أسألكَ .. لا أسألُ الله إلا شيئاً واحداً .. أن تبقى كما أنتَ ، طفلاً يصور.. ويغني .. ويعشق ..

كأنه ملاكٌ يمشي على الأرض ويعيش في السماء .. لا يطلب " الشاعر الخالد " .

فإن " الشاعر الخالد " الذي يعيش في المجامع العلمية والمكتبات الأثرية.. يجر وراءه في الطريق الصحراءَ القاحلة .. وعفونة جماعةٍ من أغبياء المعلمين ..

أما أنتَ .. فغنك تمر مرورَ الموكب الملكيِّ .. أو الملائكي :

مررتِ .. أم نوار مر هنا
لولاك وجه الأرض لم يُعْشب
تمهلي في السير .. هل رغبةً
ظلتْ بصدر الدرب .. لم ترغبِ ..
شارعنا .. أنكر تاريخهُ ..
والتف بالعِقْد .. وبالجَوْرَبِ
أذرعنا .. أذرع أشواقنا
تهتفُ بالذهاب .: لا تذهبِ ..
دوسي .. فمنْ خطوك قد زرّرَ
الرصيفُ .. يا للموسمِ الطيبِ ..

يا للموسم الطيب !
ما أجد أحلى من هذه الكلمة في تحية ديوانك .

أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ **منير العجلاني**

ورقة إلى القارئ

كميس الهـــوادج .. شرقيـــةً
ترش على الشمس حلو الحِدا ..

كدندنة البدو .. فوق سريرٍ
من الرمل ، ينشف فيه النِدا

ومثل بكاء المآذن .. سرت
إلى الله ، أجرح صحو المَدَى

أعبيء جيبي نجوماً .. وأبني
على مقعد الشمس لي مقعدا

ويبكي الغروب على شرفتي
ويبكي لأمنحه موعدا..

شراعٌ انا .. لا يطيق الوصول
ضياعُ أنا .. لا يريد الهدى

حروفي ، جموع السنونو ، تمد
على الصحو معطفها الأسودا

أنا الحرف . أعصابه . نبضه .
تمزقه قبل أن يولدا ..

أنا لبلادي .. لنجماتها
لغيماتها .. للشذا .. للندى

سفحت قوارير لوني نهواراً ..
على وطني الأخضر المفتدى

وننتف في الجو ريشي صعوداً

ومن شرف الفكر أن يصعدا

تخيلتُ حتى جعلت العطور ترى
ويشم إهتزاز الصدى ..

* * *

بأعراقي الحمرِ .. امرأةٌ
تسير معي في مطاوي الردا

تفح .. وتنفخ في أعظمي
فتجعل من رئتي موقدا ..

هو الجنس أحمل في جوهري
هيولاه من شاطيء المبتدا

بتركيب جسمي .. جوع يحن
لآخر .. جوع يمد اليدا

أتحسب أنك غيري ؟ ضللت
فإن لنا العنصر الأوحدا

جمالك مني .. فلولاي لم تك
شيئاً ... ولولاي لن توجدا

ولولاي ما انتفحت وردةٌ
ولا فقع الثدي أو عربدا

صنعتك من أضلعي .. لا تكن
جحوداً لصنعي أو ملحدا

أضاعك قلبي ، ولما وجدتك
يوما بدربي .. وجدت الهدى

عَزَفْتُ ولم أطلب النجم بيتاً
ولا كان حلمي أن أخلدا

إذا قيل عني " أحس " كفاني
ولا أطلب " الشاعر الجيدا "

شعرت " بشيء " فكونت " شيئاً "
بعفوية ، دون ان أقصدا

* * *

فيا قارئي .. يا رفيق الطريق
أنا الشفتان .. وأنت الصدى

سألتك بالله .. كن ناعماً
إذا ما ضممت حروفي غداً ..

تذكر .. وأنت تمر عليها
عذاب الحروف .. لكي توجدا ..

* * *

سأرتاح .. لم يكُ معنى وجودي
فضولاً .. ولا كان عمري سدى

فما مات من في الزمانِ ..
أحب .. ولا مات من غردا

مذعورة الفستان

مذعورة الفستان .. لاتهربي
لي رأي فنان ، وعينا نبي

شارعنا أنكر تاريخه
والتف بالعقد .. وبالجورب

والتهم الخيط .. وما تحته
وأتعب الخصر ولم يتعب

واقتحم النهد .. وأسواره
ولم يعد من ذلك الكوكب

شارعنا يمشي على شوقه
يمشي على جرح هوى مرعبِ

يمشي بلا وعي ولا غاية
مثلك ، يا مبهمة المطلب

حركت بالإيقاع أحجارهُ
فاندفعت في عزة الموكبِ

فديت يا ساحبةً خلقها
شيئاً من الليل .. من المغربِ

أهذه أنت ؟ صباحي رضا
أعمارنا قبلك لم تكتب .

تمهلي في السير .. هل رغبةٌ
ظلت بصدر الدرب لم ترغب ؟

هل حجر - إذا لحت - لم يلتفت
لم ينسجم . لم يبك . لم يطرب

تسلسلي ، مفتاح رصدٍ ، ثبي
فراشة بيضاء ، في ملعبي

* * *

مخضرة الخطوة .. لا تجفلي
هل نغضب الوردة .. كي تغضبي ؟

مشى بكِ المقهى .. مشى حيُنا
خلف حفيف المئزر المطربِ

نحن افتكارُ الجرح في نفسهِ
حلم طيور البحر بالمركبِ

أذرعنا . أذرع أشواقنا
تهتف بالذهاب : لا تذهب .!

نحن ! دعي نحن .. أيا واحةً
يحلم فيها كل مسترطب ..

مررتِ .. أم نوار مر هنا ؟
لولاكِ وجهُ الأرضِ لم يعشبِ

دوسي . فمن خطوك قد زرزر
الرصيف . يا للموسم الطيب ..

مكابرة

تراني أحبك ؟ لا أعلمُ
سؤال يحيط به المبهمُ

وان كان حبي افتراضاً . لماذا ؟
إذا لحتِ طاشَ برأسي الدمُ

وحار الجواب بحنجرتي
وجف النداء .. ومات الفمُ

وفر وراءَ ردائك قلبي
ليلثم منك الذي يلثمُ

تراني أحبك ؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

وفي الليل . تبكي الوسادة تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجمُ

وأسأل قلبي : أتعرفها ؟
فيضحك مني ولا أفهمُ

تراني أحبك ؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرم

* * *

وإن كنتُ لستُ أحبُّ .. تراهُ
لمنْ كل هذا الذي أنظمُ ؟

وتلكَ القصائدُ أشدو بها
أما خلقها امرأةٌ تلهمُ ؟

تراني أحبك ؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

إلى أن يضيقَ فؤادي بسري
ألِح . وأرجو . وأستفهمُ

فيهمسُ لي : أنتَ تعبدُها
لماذا تكابرُ .. أو تكتمُ ؟

الموعد الاول

.. ويمنحني ثغرها موعدا
فيخضر في شفتيها الصدى

وأمضي إليها .. أنا شهقات القلوعِ
تغازلُ لونَ المدى ..

وأين القرارُ ؟ سبقت الزمانَ
سبقتُ المكانَ .. سبقتُ غدا

أخوضُ في الصبح .. ملءَ طريقي
أريجٌ .. وملء قميصي ندى

يدي في ذراعك .. أين الضياع
تخافينه ؟ نحن نهدي الهدى

أحبك فوق التصور .. فوقَ
المسافاتِ .. فوق حكايا العدا

جرخت الأزاميل فيكِ .. حملتُ
إلى شعركِ القمرَ الأسودا ..

وشجعتُ نهديكِ .. فاستكبرا
على الله حتى .. لم يسجدا !!

أكتبي لي

إلي أكتبي ما شئت .. إني أحبه
وأتلوه شعراً .. ذلك الأدب الحلوا

وتمتص أهدابي انحناءات ريشةٍ
نسائية الرعشات .. ناعمة النجوى

عليَّ اقْصُصي أنباءَ نفسكِ .. وابعثي
بشكواكِ ، من مثلي يشاركِكِ الشكوى ؟

لتفرحُني تلك الوريقاتُ حُبرتْ
كما تفرحُ الطفلَ الألاعيبُ والحلوى

وما كان ياتي الصبرُ .. لولا صحائفٌ
تسلمُ لي سراً .. فتلهمني السلوى

أحن إلى الخط المليس .. ورقعةٍ
تطاير كالنجماتِ أحرفها النشوى

أحِسُّكِ ما بين السطور ضحوكةً
تحدثني عيناك في رقةٍ قصوى

تغلغلتِ في بال الحروف مشاتلاً
وصتا حريريُ الصدى ، وداعاً ، حلوا

رسائلك الخضراءُ .. تحيا بمكتبي
مساكب وردٍ تنشر الخير والصحوا

زرعت جواريري شذاً وبراعماً
وأجريتِ في أخشابها الماء والسروا ..

إليَّ اكتبي إما وُجدت وحيدةً
تدغدغك الأحلامُ في ذلك المأوى

ومرتْ على لين الوسادة صورتي
تخضبها دمعاً .. وتغرقها شجوا

وما بك ترتابين ؟ هل من غضاضة
إذا كتبت أخت الهوى للتي تهوى ؟

ثقي بالشذا يجري بشعرك أنهراً
رسائلك النعماء في أضلعي تُطوى

فلستُ أنا منْ يستغل صبيةً
ليجعلها في الناس أقصوصةً تُروى

فمازالَ عندي – برغم سوابقي –
بقيةُ أخلاق .. وشيءٌ من التقوى

أمام قصرها

متى تجيئين ؟ قولي
لموعدٍ مستحيلِ

يعيش في الظن .. فوقَ
الوقوع .. فوق الحصولِ

وأنتِ . لا شيء إلا
وعد ببال الحقولِ

وأنت خيط سرابٍ
يموتُ قبل الوصولِ

ظل التصاميم تمشي
في جبهة الإزميلِ ..

*   *   *

أنا على الباب .. أرجو
انزياح سترِ صقيلِ

يلهو الشتاء بشَعري
ومعطفي المبلولِ

أشقى .. وأنتِ استليني
ريش الوسادِ النبيلِ

طيف تثلج .. خلفَ
الزجاج .. هيا افتحي لي ..

*   *   *

من أنتَ ؟ وارتاعَ نهدٌ
طفلٌ .. كثير الفضولِ

من أنتَ ؟ أوجعتَ حتى
تفتا إلى القميص الكسولِ

أوجعتَ أكداس لوزٍ
فديتَ منْ مجهولِ ..

أنا بقايا البقايا
من عهد جر الذيولِ

أهواكِ مُذ ْ كنتِ صُغْرى
كصفحة الإنجيلِ

ومن زمانٍ .. زمانٍ
ومن طويلٍ .. طويلِ ..

وكنتُ أغمسُ وجهي
في شعركِ المجدولِ

في شكلِ وجهكِ أقرا

شكل الإلهِ الجميلِ ..

*   *   *

متى ؟. وُردّتْ صلاتي
مع انـهمار ِالسدولِ

إندفاع

أريدكِ
أعرفُ أني أريد المحالْ
وأنك فوق إدعاء الخيالْ
وفوق الحيازةِ ، فوق النوالْ
وأطيبُ ما في الطيوبِ
وأجملُ ما في الجمالْ

*   *   *

أريدكِ
أعرفُ أنكِ ، لا شيءَ غيرُ إحتمالْ
وغيرُ افتراضٍ
وغير سؤالٍ ، ينادي سؤالْ
ووعدٍ ببال العناقيدِ
بالِ الدوالْ

*   *   *

أريدكِ
أعرف أن النجومْ
أرومْ
ودونَ هوانا تقومْ
تخومْ
طِوالٌ .. طِوالْ
كلونِ المحالْ

كرجْع المواويلِ بين الجبالْ
ولكنْ .. على الرغم مما هوَ
وأسطورةِ الجاهِ والمستوى
أجوبُ عليكِ الذرى والتلالْ
وأفتحُ عنكِ
عيونَ الكُوى
وأمشي .. لعليَ ذاتَ زوالْ
أراكِ .. على شقرة الملتوى
ويوم تلوحينَ لي
على لوحة المغربِ المخملي
تباشيرَ شالْ ..
يجر نجوماً
يجر كروماً
يجر غلالْ
سأعرفُ أنكِ أصبحتِ لي
وأني لمستُ حدودَ المحالْ

أنا محرومة

لا أمُهُ لانتْ .. ولا أمي
وحبه ينامُ في عظمي

إن خبأتْ أمي بصندوقها
شالي . فلي شالٌ من الغيمِ

أو أوصدوا الشُباك كي لا أرى
فَتحت شباكاً من الوهمِ

ما أشفقَ الناسُ على حبنا
وأشفقتْ مساندُ الكرمِ

أحِبُّ عطرَ الجُرحِ من أجلهِ
فهلْ تراهمْ عطروا همي

أما بذرنـَا الرصدَ والمَيجنا
هناك في جنينة النجمِ ..

قوافلُ الأقمار من رسمه
وما تبقى كله رسمي ..

وقبلنا لا شالَ شالٌ .. ولا
أدرك خصرٌ نعمةُ الضم

من فضلنا ، من بعض أفضالنا
أنا اخترعنا عالم الحُلمِ ..

في المقهى

بجواري اتخذت مقعدها
كوعاء الورد في اطمئنانها

وكتابٌ ضارعٌ في يدها
يحصد الفضلة من إيمانها

يثب الفنجان من لهفتهِ
في يدي ، شوقاً إلى فنجانها

آه من قبعةِ الشمس التي
يلهثُ الصيف على خيطانها

جولة الضوء على ركبتها
زلزلت روحي من أركانها

هي من فنجانها شاربةٌ
وأنا أشربُ من أجفانها

قصة العينين .. تستعبدني
من رأى الأنجم في طـُوفانها

كلما حدقتُ فيها ضحكتْ
وتعرى الثلج في أسنانها

*   *   *

شاركيني قهوة الصُبح .. ولا
تدفني نفسكِ في أشجانها

إنني جارُك يا سيدتي
والربى تسألُ عن جيرانها

من أنا ؟ خلي السؤالات . أنا
لوحة تبحثُ عن ألوانها

*   *   *

موعداً ، سيدتي ! وابتسمتْ
وأشارتْ لي إلى عنوانها ..

وتطلعت فلمْ ألمحْ سوى
طبعةِ الحمرة في فنجانها

إسمها

إسمُها في فمي .. بكاءُ النوافيرِ
رحيلُ الشذا .. حقولُ الشقيقِ

حزمةٌ من توجع الرصدِ .. رفٌ
من سنونو يهم بالتحليقِ

كنهور الفيروز يهدرُ في روحي
وينساب في شعوري العميقِ

كلُهاث الكروم ، كالنشوةِ الشقراءِ
غامتْ على فمِ الإبريقِ

كمرور الطيور مبتلة الريشِ
على كل منحنى ومضيقِ ..

كحريرِ النهد المُهزهِزِ .. فيهِ
علقَ الله قطرةً من عقيقِ ..

كقطيعٍ من المواويل .. حطت
في ذُرى موطني الأنيقِ

إسمُها .. ركضةُ النبيذ بأعصابي
وزحف النسور طي عروقي

شفتى ، كالمزارع الخضر ، إن مرَّ
كنيسان ، كالربيعِ الوريقِ

أحرفٌ خمسةٌ كأوتار عودٍ
كترانيم معبدٍ إغريقي ..

أحرفٌ خمسةٌ .. أشفُّ من الضوءِ
وأشهى من نكهةِ التطويقِ

*   *   *

إسمُك الحلو .. أي دنيا تناغيني
وتهدي إلى النبوغ طريقي !

غرفتها

في الحجرة الزرقاء .. أحيا أنا
بعدك ، يا أخت ، أصلي الرياشْ

وأمسح المهد الذي لفنا
وفيه برعمنا الحرير افتراشْ

ليلات ذرذرنا تشاويقنا
فساح بالأطياب منا الفراشْ

وثديك الفلي .. كوم سنا
يغمى على البياض منه القماشْ

* * *

شقراء .. لا أعدمها لثغةً
يعيا بها ثغرك عند النقاشْ

شقراء .. هل أحيا على صورة
ومن على الألوان والظل عاشْ ؟

منديلك الخمري .. أحيا به
ففيه من طيبك بعض الرشاشْ

وها هنا رسالة .. نثرك الغالي .. بها
أخفيه عن كل واشْ

أعز ما خلفت لي خصلةٌ
حبيبةٌ تهتز فوق الفراشْ

تظل .. إما جئت ألثمها
تهفو إلى منبتها في ارتعاشْ

شقراء .. يا فرحة عشريننا
ونكهة الزقُ .. وهزج الفراشْ

شقراء .. يا يوما على المنحنى

طاش به ثغري .. وثغرك طاشْ

نمشي فيندي العشب من تحتنا
وفوقنا للياسمين اعتراشْ

ونشرب الليل ، صدى ميجنا
وصوت أجراسٍ .. وعود مواشْ

قولي .. ألا يغريك لون الدنا
لعود .. فالطير أتت للعشاشْ

زيتية العينين

زيتية العيني .. لا تغلقي
يسلم هذا الشفق الفستقي

رحلتنا في نصف فيروزة
أغرقت الدنيا ولم تغرقِ ..

في أبدٍ . يبدأ ولا ينتهي
في ألف دنيا ، بعد ، لم تخلقِ

في جزرٍ تبحث عن نفسها
ومطلق يولد من مطلقِ

وتنتهي الدنيا ولا ينتهي
تشردي في غابة الفستقِ

* * *

قميصكِ الأخضرُ .. من يا ترى
باعك هذا اللون .. قولي . اصدقي

أمن ضفاف (السين) خياطه

واللون من دانوبه الأزرقِ

أم من صغير العشب لملمتهِ
في سلة بيضاء من زنبقِ

بحيرةٌ خضراءُ في شطها
نامت صبايا النور .. لم تتقي

كأنما عينكِ وسط الضيا
صفصافة تحت الضحى الزنبقي

عريشة كسلى على سفحها
عنقودها بالشمس لم يحرقِ

* * *

شباكي الصغيرُ .. يفضي إلى
فسقية .. يفضي إلى المشرقِ

إلى نوافير رمادية
تبكي بصوت أزرق .. أزرقِ

يفضي إلى لا حيثُ .. شباكنا
يفضي إلا لا منتهى شيقِ

من ألف عام وأنا مبحرٌ
ولم أصل .. ولم يصل زورقي

أمضي على زمرد دافىء
يرهقني .. فديت يا مرهقي

وشوشة المياه مسموعةٌ
من خلف خلف الهدب المطرقِ

قطراتُ فيروز على جبهتي
منك ، على شعري .. على مفرقي

يا مطر العينين .. لا تنقطع
أنا حنين الطيب للدَوْرَقِ

لا تنقطع ثانيةً .. إنني
جوع الربى للأخضر المورقِ

يا مرفأ الفيروز .. يا متعباً
سفينتي . لابد أن نلتقي

حبيبة وشتاء

.. وكان الوعد أن تأتي شتاء
لقد رحل الشتا .. ومضى الربيعُ

وأقفرت الدروبُ ، فلا حكايا
تطرزها ، ولا ثوبٌ بديعُ .

ولا شالٌ يشيلُ على ذرانا
ولا خبرٌ .. ولا خبرٌ يشيعُ

وهاجرَ كل عصفور صديق
وماتَ الطيبُ ، وارتمت الجذوعُ

حبيبةُ .. قد تقضى العامُ عنا
ولم يسعد بك الكوخُ الوديعُ

ففي بابي يُرى أيلولُ يبكي
وفوق زجاج نافذتي دُمُوعُ

ويسعل صدرُ موقدتي لهيباً

فيسخنُ في شراييني النجيع

تلتفتُ الستائرُ في حنينٍ
وتذهل لوحةٌ .. ويجوعُ جوعُ

* * *

أحبكِ .. في مراهقة الدوالي
وفيما يضمر الكرمُ الرضيعُ

وفي تشرينَ ، في الحطبِ المغني
وفي الأوتار عذبها الهجوعُ

وفي كرم الغمائم في بلادي
وفي النجمات في وطني تضيعُ

أحبكِ .. مقلةً وصفاء عين
إليها قبلُ .. ما اهتدت القلوعُ

أحبكِ .. لا يحد هواي حد
ولا ادعت الضمائر والضلوع

أشم فيكِ رائحةَ المراعي
ويلهث في ضفائركِ القطيعُ ..

أقبلُ إذْ أقبله حقولاً
ويلثمني على شفتي الربيعُ

أنا كالحقل منكِ .. فكل عضوٍ
بجسمي ، من هواك ، شذاً يضوعُ

* * *

جهنمي الصغيرةَ .. لا تخافي
فهل يطفي جهنم .. مستطيع ؟

فلا تخشي الشتاءَ ولا قواهُ
ففي شفتيكِ يحترقُ الصقيعُ

مسَاء

قفي .. كستنائية الحصلاتِ ..
معي ، في صلاةِ المسا التائبهْ

نـَرَ الليلَ يرصفُ نجماتهِ
على كتف القرية الراهبهْ

ويرسمُ فوقَ قراميدها
شريطاً من الصور الخالبه

قفي .. وانظري ما أحب ذرانا
وأسخى أناملها الواهبه

مواويل تلمسُ سقفَ بلادي
وترسو على الأنجم الغاربهْ

على كرز الأفق قام المساءُ
يعلق لوحاته الشاحبهْ

وتشرين شهرُ مواعيدها
يُلوحُ بالديم الشاكبه

بيادرُ كانت مع الصيف ملأى
تنادي عصافيرها الهاربهْ

وفضلات قشٍّ .. وعطرٌ وجيعٌ
وصوتُ سنونوةٍ ذاهبهْ

شحوبٌ .. شحوبٌ على مَدِّ عيني
وشمسٌ كأمنيةٍ خائبةْ

إطارٌ حزينٌ لأحبكِ فيهِ
وفي الحرْج يستنظر الحاطبةْ

وفي عبق الخبز في ضيعتي
وطفرات تنورةٍ آيبةْ ..

وفي جرَس الدير يبكي .. ويبكي
وفي الشوح ، في ناره اللاهبةْ

وفي النهد يعلك طوقَ الحرير
وفي نخوة الحلمة الغاضبةْ ..

أحبكِ .. حرفاً ببال الدواةِ
ووعداً على الشفة الكاذبةْ

وخضراً يعيش بنعمى يدٍ
ويحلمُ بالراحة الغاضبةْ

وفي اللون .. في الصوت .. في كل شيء
وفي الله .. في دمعة الراهبةْ

أحبك أوسعَ من كل دنيا
ومن مدعى الريشة الكاتبةْ

خاتم الخطبة

ويحك ! في إصبعكِ المخملي
حملتِ جثمان الهوى الأولِ

تهنئني .. يا من طعنتِ الهوى

في الخلف .. في جانبه الأعزلِ

قد تخجل اللبوةُ من صيدها
يوماً ، فهل حاولتِ أن تخجلي ؟

بائعتي بزائفات الحلى
بخاتمٍ في طرفِ الأنملِ

بوهج أطواقٍ خرفيةٍ
وبالفراء ، الباذخ ، الأهدلِ

* * *

أعقدُ ماسٍ وانتهى حبنا ؟
فلا أن منكِ .. ولا أنتِ لي ..

وكلٌّ ما قلنا . وما لم نقلْ
وبوحنا في جانب المنقلِ

تساقطتْ صرعى على خاتمٍ
كالليل ، كاللعنة ، كالمنجلِ ..

* * *

كيف تآمرتِ على حبنا
وعامه الأول .. لم يكملِ ..

جذلى .. وفي مأتم أشواقنا ؟
جذلى .. ونعشُ الحب لم يقفل ؟

والخاتم الزاهي ، خريف المنى
يرصدني كالقدر المنزلِ

يخبرني أن زمانَ الشذا
راح ، وغاضتْ صيحةُ البلبلِ

*   *   *

بائعتي .. بائعةً نفسها
ماذا تمنيت ولم أفعلِ ؟

نصبت فوق النجم أرجوحتي
وبالدما رسمت مستقبلي

وبيتنا الموعودُ .. عمرتهُ
من زهرات اللوز ، كي تنزلي

قلعتُ أهدابي .. وسورتهُ
ورداً على الشرفة .. والمدخلِ

أرقبُ أن تأتي كما يرقبُ
الراعي طلوعَ الأخضر المقبل ..

*   *   *

صدفتِ عني .. حين ألفَيْتَني
تجارتي الفكرُ .. ولا مالَ لي

أبني بيوتي في السحاب القصي
فيكتسي الصباحُ من مغزلي

جواهرٌ تكمنُ في جبهتي
أثمنُ من لؤلؤك المُرسلِ

*   *   *

سبيةَ الدينار ، سيرى إلى
شاريكِ بالنقود .. والمخملِ

لم اتصور أن يكون على
اليد التي عبدتها .. مقتلي !!

سمفونية على الرصيف

سيري .. ففي ساقيك نهرا أغاني
أطرى من الحجاز .. والأصبهاني

بكاءُ سمغونيةٍ حلوةٍ
يغزلها هناك .. قوسا كمان

أنا هنا .. متابع نغمة
قادمة من غابة البيلسان

أنا هنا .. وفي يدي ثروةٌ
عيناك .. والليل .. وصوت البيان

لا تقطعي الإيقاع .. لاتقطعي
ودمري حولي حدود الثواني

وأبحري في جرح جرحي .. أنا
لشهوتي صوتٌ .. لجوعي يدان

* * *

اليوم .. أصبحنا على ضجةٍ
قبل اختفت من حُرجنا .. سروتان

قبل اختفت أطول صفصافة
أطول ما في السفح من خيزران

سارقة أغنى حواكيرنا
سارقة اللبلاب والأقحوان

مدينتي قد ضيعت نفسها
وهاجرت مع الحرير اليماني

وودعت تاريخ تاريخها
وضيعت زمانها من زمان

وداعبت نهداً كألعوبة
تصبح إن دغدغها إصبعان ..

نهداً لجوجاً فيه تيه الذرى
وما لدى ربي من عنفوان

مدينتي ! لم يبق شيء هنا
لم ينتفض ، لم يرتعش من حنان

* * *

شيري .. فإني لم أزل منصتاً
لقصة تكتبها فلتان ..

نحن انسجام كامل .. واصلي
عزفك .. ما أروع صوت البيان

إلى مصطافة

أأنت على المنحنى تقعدين ؟
لها رئتي هذه القاعدهْ ..

مشاوير تموزَ .. عادت وعدنا
لننهب داليةً راقدهْ ..

لنسرق تيناً من الحقل فجاً
لننقفَ عصفورةً شاردهْ

لأفرطَ حباتِ توتِ السياج
واطعمَ حلمتكِ الناهدهْ

لأغزل غيمَ بلادي شريطاً
يلف جدائلك الراعدهْ

لأغسل رجليك يا طفلتي
بماء ينابيعها الباردهْ

* * *

سماويةَ العين .. مصطافتي
على كتف القرية الساجدهْ

أحبك .. في لهو بيض الخراف
وفي مرح العنزة الصاعدهْ

وفي زمر السرو والسنديان
وفي كل صفصافة ماردهْ

وفي مقطع من أغاني جبالي
تغنيه فلاحةٌ عائدهْ

* * *

صديقةُ . إن العصافير عادتْ
لتنقر من جعبة الحاصدهْ

أحبك أنقى من الثلج قلباً
وأطهر من سبحة العابدهْ

حلمتِ اندفاعة هذا الصبي
كما احتملت طفلها الوائدةْ

أحبكِ .. زوبعةٌ من شبابٍ
بعشرين لا تعرف العاقبةْ

جموع السنونو على الأفق لاحتْ
فلوحي .. ولو مرةً واحدةْ ..

فـم

في وجهها يدور .. كالبرعمِ
بمثلهِ الأحلامُ لم تحلمِ

كلوحةٍ ناجحةٍ .. لونها
أثارَ حتى حائطَ المرسمِ

كفكرةٍ .. جناحها أحمرٌ
كجملة قيلتْ .. ولم تفهمِ

كنجمةٍ قد ضيعتْ دربها
في خصلات الأسود المعتمِ

زجاجةٌ للطيب مختومةٌ
ليتَ أواني الطيب لم تختمِ

* * *

من أين يا ربي عصرتَ الجنى ؟
وكيف فكرتَ بهذا الفمِ

وكيف بالغتَ بتدويره ؟
وكيفَ وزعتَ نقاط الدمِ ؟

وكيف بالتوليبِ سورتهُ
بالورد ، بالعناب ، بالعندمِ ؟

وكيف ركزتَ إلى جنبهِ
غمازةً .. تهزأ بالأنجمِ ..

كم سنةً .. ضيعتَ في نحتهِ ؟
قل لي . ألمْ تتعبْ .. ألم تسأمِ ؟

* * *

منضمةَ الشفاهِ .. لا تفصحي
أريدُ أن أبقى بوهم الفمِ ..

أحبكِ

أحبكِ .. لا أدري حدود محبتي
طباعي أعاصيرٌ .. وعاطفتي سيلُ

وأعرف أني متعبٌ يا صديقتي
وأعرف أني أهوجٌ .. وأنني طفلُ

أحبُ بأعصابي ، أحب بريشتي
أحب بكلي .. لا اعتدالٌ ، ولا عقلُ

أنا الحبُّ عندي جدةٌ وتطرفٌ
وتكسير أبعادٍ .. ونارٌ لها أكلُ

وتحطيمُ أسوارِ الثواني بلمحةٍ
وفتحُ سماءٍ كلها أعينٌ شهلُ

وتخطيط اكوانٍ ، وتعمير أنجمٍ
ورسم زمانٍ .. مالهُ .. مالهُ شكلُ

أنا ما انا .. فلتقبليني مغامراً
تجارتهُ الأشباحُ ، والوهمُ ، والليلُ

* * *

أحبكِ تعتزينَ في خمسَ عشرةٍ
ونهدك في خيرٍ .. وخصركِ معتل

وصدرك مملوءٌ بألف هديةٍ
وثغرك دفاقُ الينابيع مبتلٌّ

تعيشينَ بي كالعطر يحيا بوردةٍ
وكالخمر في جوف الخوابي لها فعلُ

وقبلك لم أوجدْ .. فلما مررت بي
تساءلت في نفسي : ترى كنتُ من قبلُ ؟

بعينيكِ .. قد خبأتُ أحلة قصائدي
إذا كان فضلُ الغنا .. فلك الفضلُ

مسافرة

جئتها نازف الجراح ، فقالتْ :
شاعرَ الحب والأناشيد .. ما بكْ ؟

ذاك منديليَ الصغيرَ .. فكفكفْ
قطرات الأسى على أهدابكْ

نمْ على زندي الرحيم .. وأشفقْ
يا رفيقَ الصبا .. على أعصابكْ

إرفع الرأسَ ، والتفتْ لي قليلاً
يا صغيري ، أكأبتني باكتئابكْ

ممكنٌ أن نظل بعدُ صديقينِ
تفاءلْ .. ألم تزلْ في ارتيابكْ ؟

* * *

ما تقولينَ ؟ كيفَ أحمل جرحي
بيميني .. كيف احتمال اغترابكْ

أين تمضينَ ؟ كيفَ تمضينَ .؟ ردي
وأغاني ضارعاتٌ ببابكْ

وببيتي من ضوء عينيكِ ضوءٌ
وبقايا من رائعاتِ ثيابكْ

أنت لي رحمةٌ من الله بيضاءُ
أحس السلامَ في أعتابكْ

أنت كوخُ الأحلام آوي إليهِ
أشربُ الصمتَ في حمى أعشابكْ

أنت شطٌ اغفت عليه الهنا اتُ
وقلعي حيران فوق عبابكْ

أنت حاولتُ خمرتي إن طغى الدهرُ
وجدتُ السلوانَ في أكوابكْ

أنت كرمي الدفيقُ .. لو يُعبدُ الكرمُ
عبدت النيرانَ في أعنابكْ

* * *

مسحتْ جبهتي .. بأنملها الخمس

وفكت لي شعري المتشابكْ

يا صديقي وشاعري : لا تمكنْ
قبضةَ اليأس من طموح شبابكْ

أنتَ للفن .. قد خلقتَ وللشعر ..
سيهدي الدنيا بريقُ شهابكْ

أنا دعني أسيرُ .. هذا طريقي
وامش يا شاعري إلى محرابكْ

ما خلقنا لبعضنا .. يا حبيبي
فابق للفن .. للغنا .. لكتابكْ ..

القرط الطويل

جاران للساالفِ .. من ذا رأى
على بساطٍ .. رزمتيْ جوهرِ

قد فُكـَّـتا .. فانفرطتْ أنجمٌ
على طريقٍ معشبٍ .. مزهرِ ..

حبلا بريقٍ .. رافقا جيدَها
واستأنسا بالهُدْبِ والمحجر

وشوشةُ المياه .. مسموعةٌ
من مقعدي ، وضجة الأنهر

يا طيب شلالين من فضةٍ
سالا على مقالع المرمرِ

كم غلغلا خلفَ ذؤاباتها
وخوَّضا في المسكِ والعنبر ..

ما تعِبَا رقصاً على جيدِها
ولا انتهى الهمسُ مع المئزرِ

أرجوجةٌ من قلقي خيطها
من نزق المدورِ الأسمرِ ..

أسلاكها تمضي على كيفها
تمضي .. وتمضي .. في مدى مقمرِ

تحط إن شاءت على شعرها
أو .. لا .. ففوق البؤبؤ الأخضرِ ..

يردني القرط كأني به ..
يخافُ أن أعلقَ بالأحمرِ

رغمَ امتناع القُرط .. اجتاحهُ
أشرسَ من عصفورة البيدرِ ..

رافعة النهد

تزلقُ فوق ربوتيْ لذةٍ
ناعمةٌ .. دارت على ناعمِ

خمرية كلون عاطفتي
واهمةٌ مثلُ غدي الواهمِ

تنشقُ من مزرعتيْ زنبقٍ
زَرَّرتا .. للموسم القادمِ

تؤويهما .. تحميهما من أذىّ
من الهوى .. من الشتا الهاجمِ

وتغزلُ الغَزْلَ لكي يدفأ
كي يهنآ .. في المخبأ الحالمِ

وتطعمُ الإثنينِ .. من قلبها
من لحمها .. من خيطها الفاغمِ

تذاعبُ الواحدَ .ز إما صَحَا
وتُسْدلُ السِـتـْرَ على النائمِ

* * *

رافعة النهدِ .. احيطي بهِ
كوني لهُ أحْنَـى من الخاتمِ

قد يَجْرَحُ الدنـْتـيـلُ إحساسهُ
فخففي من قيدك الظالمِ ..

هذا الذي بالغتِ في ضمهِ
أثمن ما أخرجَ للعالمِ ..

نهداك

سمـــــراءُ .. صبي نهدك الأسمرَ في دنيـــا فمــــي
نهـــداكِ نبعَـا لـــذة حمــــراء تشعل لي دمــــــي
متمردان على الســـماء ، على القميص المنعــــــم
صـنـمانِ عاجيانِ ... قد ماجا ببحـــرٍ مضــــرم
صنمان .. إني أعبـــدُ الأصنامَ رغم تـــــــــأثمي

فكي الغلالة .. واحســري عن نهدك المتضــــــــرم
لا تكبتي النارَ الحبيسة ، وارتعاشَ الأعظـــــــــم
نـــــار الهوى ، في حلمــــتيكِ ، أكولة كجهنــــمِ
خمــــريتان .. احمـــرتا بلظى الدمِ المتهجــمِ ..
محـــــروقتان .. بشوةٍ تبكي ، وصبرٍ ملجــــم

نهداكِ وحشيان .. والمصباح مشدوه الفــــــــــم
والضوء منعكس على مجـــرى الحليب المعتــــم

وأنا أمـــدُّ يـــدي .. وأسرقُ من حقول الأنجـــم
والحلـمـة الحمقاءُ .. ترصدني بظفر مُجـــــرم
وتغـــط إصبعها وتغمسهـــا بحبر من دمــــــي ..

يــا صلبة النهديــن .. يأبى الوهم أن تتوهمــــي
نهداك أجمـــلُ لوحـتيـن على جـــدار المرسم ..
كــرتان من زغب الحرير ، من الصباح الأكـــرام
فتقدمي ، يا قطــتي الصغـــرى ، إلـــي تقدمي ..
وتحـــرري مما عليك .. وحطمني .. وتحطمني ..

مغرورة النـهديـن .. خلي كبرياءك وانعمـــي
بأصابعي ، بزوابعي ، برعونـــتي ، بتهجمي
فغــداً شبابك ينطفي مثــل الشعاع المـــضرم
وغداً سيذوبني النهد والشفتان منك .. فأقدمي
وتفكــري بمصير نهداكِ .. بعد موتِ الموسم

لا تفزعي .. فاللثم للشعراء غــــيرُ محـــرمِ
فكي أسيري صدركِ الطفلين .. لا .. لا تظلمي
نـهداك ما خلقنا للثم الثوب .. لكن .. للفــــم
مجنونة من تحجب النهدين .. أو هي تحتمي
مجنونة .. من مـرَّ عهد شبابها لـم تلثـمِ ..

.. وجـذبتُ منها الجسمَ ، لم تنفرْ ولم تتكلـمِ
مخمـــورة .. مالـــتْ عليَّ بقـدهــا المتهـدمِ
ومضتْ تعللني بهـــذا الطافـــر المتكـــومِ
وتقول في سكرٍ ، معربدة ، بأرشق مبســـمِ
" يا شاعري .. لم ألقَ في العشرين مَنْ لم يفطم .. "

أفيقي ..

أفيقي .. من الليلة الشاعلهْ
وردي عباءتك المائلهْ

أفيقي .. فإن الصباحَ المطلَّ

سيفضح شهوتكِ الشافلهْ

مغامرة النهد ردي الغطاءَ
على الصدر والحلمةِ الآكلهْ

وأينَ ثيابكِ بعثرتِها
لدى ساعة اللذةِ الهائلهْ

كفاكِ فخيخاً بصدر السريرْ
كما تنفخُ الحيةُ الصائلهْ

* * *

أفيقي فقد مرَّ ليلُ الجنونْ
وأقبلتِ الساعةُ العاقلهْ

هو الطينُ .. ليس لطينٍ بقاءٌ
ولذاتهُ ومضةٌ زائلهْ ..

لقد غمرَ الفجرُ نهديكِ ضوءاً
فعودي إلى أمكِ الغافلهْ

* * *

ستمضي الشهورُ .. وينمو الجنينُ
ويفضحكِ الطفلُ والقابلهْ ..

إلى عجوز

عبثاً جهودكِ .. بي الغريزة مطفأهْ
إني شبعتك جيفةً متقيئهْ

مهما كتمتِ .. ففي عيونك رغبةٌ
تدعو .. وفي شفتيكِ تحترق امرأهْ

إني قرفتك ناهداً متدلياً
وقرفتُ تلك الحلمةُ المهترئهْ

أنا لا تحركني العجائزُ .. فارجعي
لكِ أربعونَ .. وأي ذكرى سيئهْ

* * *

أخت الأزقةِ .. والمضاجعِ .. والغوى
والغرفةِ المشبوهةِ المتلألئهْ ..

شفتاكِ عنقودا دمٍ وحرارةٍ
شفةً أقَبِّلُ أم أقبل مدفأه ؟

والإبط .. أيةُ حفرةٍ ملعونةٍ
الدودُ يملأ قعرها والأوبئهْ ..

صيرتُ للزوارِ ثديكِ مورداً
إما ارتوت فئةٌ .. عصرتِ إلى فئهْ

فبكل ثغرٍ من حليبك قطرةٌ
وقرابةٌ في كل عرقٍ .. أو رئهْ

إلى زائرة

حسبي بهذا النفخ والهمهمهْ
يا رعشةَ الثعبان .. يا مجرمهْ

زلقتِ من أهلكِ لم تستحي
زحفاً إلى غرفتي الملهمهْ ..

مفكوكةَ الازرار عن جائعٍ
يصبو إلى النجم لكي يقضمهْ

وشعركِ المسفوحُ .. خصلاتهُ
مهملةٌ ، لا تعرف اللملمهْ

أفي قميص النومِ ، يا ذئبتي ؟
تائهةٌ كالفكرة المبهمهْ

ونهدك الملتف في ريشهْ
كأرنب إلى يدني فمهْ

كالأرنب الأبيض في وثبهْ
الله .. كم حاولتُ أن أرسمهُ

هذا الذي يطفرُ في مخدعي
هل ظل شيء بعد ما حطمهْ ؟

آمنتُ باللذات مسلولةً
تفورُ من مقلتكِ المضرمهْ

وكم لدى المرأة من مطلبٍ
في جوع عينيها له ترجمهْ

شهيةَ العطر . أنا ماردٌ
محاذري أن تكسري قمقمهْ

ما أنتِ ؟ ما نهداكِ ؟ إن قَهْقَهَتْ
عواطفي ، وشهوتي الملجمهْ

لا يعرفُ الطوفانُ في جرفِهِ
ما حلل اللهُ .. وما حرمهْ ..

مدنسة الحليب

أطعميهِ .. من ناهديكِ اطعميهِ

واسكبي أعكرَ الحليبِ بفيهِ

إتقي اللهَ .. في رخامٍ معرَّى
خشبُ المهد كاد أن يشتهيهِ

نشفتُ فورةُ الحليب بثدييكِ
طعاماً لزائرٍ مشبوهِ ..

زوجكِ الطيبُ البسيطُ .. بعيدٌ
عنكِ ، يا عرضهُ وأمَّ بنيهِ

ساذجٌ ، أبيضُ السريرةِ ، أعطاكِ
سوادَ العينينِ كي تشربيهِ ..

يتركُ الدارَ خاليَ الظنِّ .. ماذا ؟
أيشكُّ الإنسانُ في أهليهِ ؟

أو آذاكِ يالئيمة .. حتى
في قداسات نسلهِ تؤذيهِ ؟

كم غريبٌ أدخلتِ للمخدع الزوجي
يأبى الحياءُ أن تدخليهِ

إستغلي غيابهُ .. رُبَّ بيتٍ
هدمتهُ تلك المقمةُ فيهِ

* * *

والرضيعُ الزحّافُ في الأرضِ يسعى
كلُّ أمرٍ من حولهِ لا يعيهِ

أمهُ في ذراع هذا المسجى
إن يبكي الدهرَ سوفَ لا تأتيهِ

أأبو الطفل .. ذلك الزائرُ الفظُّ
العميقُ العاهاتِ والتشويهِ ؟

أأبوهُ هذا ؟ ويا رُبَّ مولودٍ
أبوهُ الضجيعُ .. غير أبيهِ ..

* * *

إن هذا الغذاء يفرزهُ ثدياكِ
مُلكُ الضغير .. لا تسرقيهِ

إنْ سقيت الزوار منه .. فقدماً
لعقَ الهرُّ من دماء بنيهِ ..

البغي

علـّقتْ في بابهـــــا قنديلهـــــــا
نـازفَ الشريان ، محمـــــر الفتيله

في زقـــــاقٍ ضَوأت أو كـــارهُ
كـــل بيتٍ فيه ، مأساةٌ طويلـــــهْ

غرفٌ .. ضيقـــــــــةٌ .. موبوءةٌ
وعناويـــن لِـ (ماري) و (جميله)

وبمقهى الحي .. حـــاكٍ هـــــرمٌ
راح يجتـر أغانيـــه الذليلـــــه

وعجــــوز خلـــــــف نرجيلتها
عُمْـــرُها أقدم من عُمـــر الرذيله

إنــها آمِــــرة البيت هنـــــا ..
تشتم الكسلى .. وتسترضي العجولـه

وأمام الباب .. صعلـــــوك هـــوى
تافه الهيئة ، مسلوب الفضيلـــــــــه

يعرضُ اللحم على قاضِـمِــــــــه ..
مثلمـــــا يعـــرض سمسارٌ خيولـــه

" هذه .. جاءت حديثـــــاً .. سيدي
ناهــــدٌ ما زال في طور الطفوله ..

أو إذا شئتَ .. فرافق هــــــــــذه
إنها أشهى من الخمر الأصيلـــه .. "

أي رقٍّ .. مثــــل أنثـــى ترتمــــي
تحت شاريها ، بأوراق ضئيلـــه

قيمة الإنسان ، مـــــا أحقرهــــا
زعموه غايــــةً .. وهو وسيلــــهْ ..

* * *

لو تـــرى الردهـــة فيهـا اضجعت
كـــــل بنتٍ كانفتـــــــــاح الزهره

نهـــدهـــا منتظــرٌ جـــــــزاره
صابـــر حتـــى يلاقي قـــــدره

هـــــذه المـــذهبة السن .. هنــــا
ترقـــــب الباب بعـــين حـــذره

حسرت عـــــن ركبـــــةٍ شاحبــــةٍ
لونهــــا لـــون الحياة المُنكــــره

مــــن سيأتي ؟ من سيأتي معهــا ؟
أي صعلوك . حقـــير ، نَكِــرَهْ ؟

وهنـــــاك .. انفــردت واحـــــدةٌ
عطرنا أرخص من أن أذكـــــره ..

حاجـــب بُولغَ في تخطيطـــــــــه
وطـــلاء كجـــــدار المقبره ..

وفـــــمٌ .. متسِـــــعٌ .. متسِـــــعٌ
كغـــــلافِ التينة المعتـــــــصره

الفضوليـــون من خلف الكــــوى
أعيـــنٌ ، جائعـــة مستعـــــرَه

وشجـــــارٌ دائـــــرٌ في منــزلٍ
وسُكارى .. ونكـــــات قذره ..

من رآهُـــــن قواريــــرَ الهــوى ؟
كنعـــــاجٍ بانتظــــار المجــزره

كـــم صبَايا ، مثل ألــــوان الضحى
أفسدتهـــــن عجـــوزٌ خطـــــرهْ
* * *
هـــــذه المجدورة الوجه انــــزوتْ
كوبــــاءٍ .. كبعـــير نتـــــــن

أخرجـــــت ساقاً لهـــــا معروقـــة
مثل ميـــــتٍ خارجٍ من كفـــنِ ..

حفــــرٌ في وجهها مُرعبــــــــةٌ
تـَرَكتـها عَجَــــلات الزمــــــن ..

نـهدهـــا حبـةُ تـــينٍ .. نشفـــت
رَحِـــمَ الله زمــــان اللبـــنِ ..

فالعصافير التي كانــــــت هُنــــــا
تتغــــذى بالشذا والسوســـــــــن

كلهــــا طارت بعيداً .. عندمـــــــا
لم يعــدْ في الأرض غير الدِمَـــــنِ

إنها الخمسونَ .. مـــــــاذا بعدها ؟
غير أمطــــارِ الشتـــاء المحــزن

إنها الخمسون .. ماذا ظــــــل لي ؟
غير هذا الوَحْـــــلِ ، هذا العفـــــنِ

غير هــــذي الكأس أستهلكهـــــــا
غـــير هـــذا التبــغ يستهلكـــــــني

غير تاريــــخٍ مُدَمــــــى .. حيثما
سرتُ ، ألقى ظلــــــه يتبعُـــــــني

غيرُ أقــــدامِ الخطايا .. رجعـــــتْ
تـُحْـــرقُ الغرفة بي .. تـُحْرقــــني

غـــــيرُ ربٍّ .. كنتُ لا أعرفـــــــه
وأراه الآن .. لا يعرفـــــــــني ..

* * *

يا لصوص اللحم .. يا تـُجـــــــارهُ
هكــــذا لحــمُ السبايا يؤكــــــــلُ

منذ أن كان على الأرض الهـــوى
أنتـُـمُ الذئـــب .. ونحــن الحمــل

نحـــن الآتُ هـــــوىً مجهَــــدةٌ
تفعــــلُ الحُــــبَّ ، ولا تنفعــلُ ..

أنـبُـشُوا في جثـــــــثٍ فاســـــــدة
سارق الأكفانِ لا يـختجـــــــــــل

وارقصوا فوق نهـــــودٍ صُلّبَـــتْ
مات فيها النورُ .. مات المخمَـــــل

من أنا ؟ إحـــــدى خطاياكــم أنـــا
نعجــــةٌ في دمكـــــمْ تغتســــــل

أشتهي الأسرةَ والطفــــــلَ .. وأن
يحتويني ، مثـــل غــيري ، منزلُ

أرجموني .. سددوا أحجاركـــــــم
كـلـكــم يـــوم سقوطــــــي بطلُ

يا قضاتي ، يا رمـــاتي ، إنكـــمْ
إنكــــمْ أجبـــن من أن تعدلوا ..

لـــن تخيفوني فـــفي شرعتكـــمْ
يُـنصرُ الباغي ، ويرمى الأعـــزل

تُسْـأل الأنثـــى إذا تزني .. وكـــم
مجرمٍ دامي الزنـــا .. لا يُســـأل

وسريرٌ واحدٌ .. ضمهــــــما
تسقط البنتُ ، ويحـــمى الرجلُ ..

****
********* النهاية *********
****